



قبس من خصائص خاتم الأنبياء



محاور الموضوع

تصدير:

- أنموذج القدوة الأكمل
 - بعض خصائصه العامة وفي الدنيا
 - بعض خصائصه في الحياة الآخوية
 - خاتمة أخلاقه الرسالية
- قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧)

الهدف:

التعرف على جوانب من سيرة حياة النبي الأكرم ﷺ والاقتداء به.

أنموذج القدوة الأكمل

لقد بات من الواضح في تاريخ سيرة رسول الله ﷺ أنه جسد النموذج الأكمل في إنترامه بمبادئ وقيم وتشريعات رسالته التي يدعو إليها، والعمل بها وتطبيق مفاهيمها في واقع التعامل والسلوك، لتري الأمة صورة الرسالة الجديدة قد تمثلت في صورة رسولها الداعية إلى الإيمان بها، جاء في حديث عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: سألت أبي أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ كيف كان سيرته في جلسائه؟ فقال: «كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المرء والإكثار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عثراته ولا عورته ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرقت جلساؤه كأنما على

رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث...» (١)

جانب من خصائص النبي محمد ﷺ:

نتكلم وبشكل مختصر عن خصائصه التكوينية: التي دلت على أكمليته وهي تلك الصفات التي اختصه الله سبحانه وتعالى، وفضله بها على سائر الأنبياء والمرسلين وعلى الخلق أجمعين: لأن هذه الخصائص فيها أسرار جلية لابد من إكمال علمها إلى الله تعالى والراسخين في العلم، وهي على قسمين:

الأول: ما اختص به من عالم الذر، أو ما يسمى عالم الأنوار إلى عالم الدنيا من صفاته ﷺ

الثاني: ما اختص به ﷺ يوم القيامة، والتي منها يتضح لنا بعض تلك الأسرار التي جعلته أفضل الخلق، وأفضل جميع الأنبياء والمرسلين.

- الخلق التوراني:

أشارت بعض الروايات الدالة على أن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد ﷺ قبل خلق السماوات والأرض، والعرش والكرسي، واللوح والقلم، والجنة والنار، وقبل خلق آدم ونوح وإبراهيم، وقبل أن يخلق الأنبياء

كلهم بأربع مائة وأربعة وعشرين ألف سنة، والتي دلت أنه سبَّح الله وعبدته قبل جميع العابدين والمُسَبِّحين، وأن الملائكة تعلموا التسبيح منه.

- خلقه علة الإيجاد:

دلت الروايات أنه ﷺ علة غائية: لإيجاد الخلق، كما ورد في الحديث القدسي: «لولاك لما خلقت الأفلاك» (٢)

أخذ الميثاق منها: رواية عبد الأعلى عن الصادق عليه السلام، والتي تدل على أن أخذ الميثاق من جميع الأنبياء لنبينا ﷺ: «إن بعض قریش قال لرسول الله ﷺ: بأي شيء سبقت الأنبياء، وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إني كنت أول من آمن بربي، وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين، وأشهدهم على أنفسهم ألاست بربكم، فكنت أنا أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل» (٣)

وأيضاً دل على ذلك القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكَمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ

(٢) الوافي.

(٣) الكافي.

(١) معاني الأخبار، ص ٨٣.

بِهِ، وَلَتَنْصُرْنَهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (١)

معجزته الخالدة:

أعطى الله تبارك وتعالى كل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات والمعجزات الدالة على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه: فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم، وهذه المعجزات كانت وقتية، انقضى زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها.

أما نبينا ﷺ؛ فكانت معجزته العظمى التي أختص بها دون غيره هي القرآن العظيم، الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده إلى يوم القيامة، كتاب خالد لا ينضب معينه، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي فوائده، محفوظ بحفظ الله من التغيير والتبديل والتحريف، وقد بشره الله تعالى بذلك حيث قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْبٌ عَزِيزٌ (١) لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٢)﴾

التعظيم الرباني في الخطاب:

من الخصائص التي دلت على أكمليته: أن الله تعالى وقره في ندائه، فتناده بأحب الأسماء وأسنى الأوصاف، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، وقد نادى الأنبياء بأسمائهم فقال: ﴿يَتَادُمُ اشْكُنْ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا﴾ (١٠) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّبَا، وقوله: ﴿يُحْيِي خُزْنَ الْكِتَابِ يَقُودُ﴾. بل لم يكتف بذلك؛ وإنما نهى

حتى أمته أن تتدابه: يا محمد، بقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَدَّاءَ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧).

الاسراء والمعراج:

ومما اختص به رسول الله ﷺ عن غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ معجزة الإسراء والمعراج فقد أسري به ببدنه وروحه، بقطة من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس بإيلاء في جنح الليل، ثم عرج به إلى سدره المنتهى، ثم إلى حيث شاء الله عز وجل ورجع مكة من ليلته. وأكرم ﷺ في هذه الآية العظيمة بكرامات كثيرة، منها: ما رأى من آيات ربه، وإمامته للأنبياء في بيت المقدس. وقد ثبت الإسراء بالقرآن، كما ثبت المعراج بالمتواتر من الحديث، وإليه أشار القرآن قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِنبِيَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

بعض خصائصه في الحياة الأخروية

لقد أدرج الله تعالى لنبيه أسمى المراتب وأشرفها مقاماً، فقد خصه بالوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة، لا تنبغي لعبد من عباد الله. وأول شافع يوم القيامة، بل له الشفاعة المطلقة، بل صرحت جملة من الروايات أنه تحرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها النبي ﷺ، وإكرامه بالحوض دون الأنبياء.

كذلك ما دل على أن آدم وجميع من خلقه الله؛ يستظلون تحت لوائه يوم القيامة، كما صرح بذلك ﷺ: «بيدي لواء الحمد، تحته آدم فمن دونه» (٥)

خاتمة أخلاقه الرسالية:

فقد استلهم رسول الله ﷺ من رسالته جل صفاته وخصاله وقيمه الأخلاقية، لذا لم يتحدث القرآن عن صفاته الجسدية كطول القامة أو قصرها، أو لون العين، أو لون الشعر، لأن القرآن ليس صحيفة من الصحف الإعلامية والدعائية حتى تهتم بالمظاهر، وإنما هو كتاب تربية وتغيير.

لذلك يتحدث عن عمق تلك الشخصية الرسالية، وعن روحها وصفاتها وخصالها وأخلاقها، فقال تعالى: قال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ لَمْ يَكُنْ فَمَا عَظِيمٌ الْقَلْبُ لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٦)

وهذا إحياء لنا عندما نتناول حياة الأنبياء والعظماء، والقادة في منهجنا التربوي والتغييري، أن لا نشغل أنفسنا في صفاتهم الجسدية، ولا في خصوصياتهم وعلاقاتهم العائلية، إلا بما يتصل بحركة الرسالة وحركة الناس معهم في المنهج.

